

النفوذ الألماني في الدولة العثمانية: المجال العسكري انموذجا

1909-1876

م.د. جمال صبحي طالب

المديرية العامة لتربية صلام الدين

الملخص:

في الوقت الذي حققت فيه الدول الأوروبية نجاحات كبيرة من تطويرها الصناعي والعسكري السريع، ولاسيما في بداية القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية تعيش في ظل أنظمة صناعية واقتصادية متأخرة مقارنة بما حقته الدول الأوروبية في ذلك المجال، مما أثر ذلك كثيرا على ضعفها وتأخرها، وبالأخص فيما يخص الجانب العسكري فحضر ذلك مباشرة الكثير من الولايات العثمانية للخروج ورفض الحكم العثمانية، ولاسيما شعوب الولايات الأوروبية، فعاشت الدولة العثمانية مرحلة صعبة من صراعتها مع القوى الأوروبية الاستعمارية المتنافسة فيما بينها؛ للاستحواذ على أكبر قدر ممكن من ممتلكاتها، فاضطرت الدولة العثمانية على نسج علاقات جيدة مع ألمانيا والتي ظهرت على مسرح الأحداث الدولية أواخر القرن التاسع عشر كقوة سياسية واقتصادية جديدة في القارة الأوروبية عملت لأجل التقرب من الدولة العثمانية والتقرب منها في سياسة جديدة عرفت في تلك المدة بـ (الاندفاع نحو الشرق) كان هدفها تعزيز علاقات الصداقة مع السلطان عبد الحميد الثاني، ولتحقيق هذه الخطوة قدمت ألمانيا مساعدات وتسهيلات كبيرة للدولة العثمانية في الجانب العسكري، وأرسلت خبراء وضباط وأسلحة مختلفة، فضلا عن إنشاء مصانع الأسلحة الحديثة والخطط العسكرية.

الكلمات المفتاحية: ألمانيا، الدولة العثمانية، الجيش العثماني، عبد الحميد الثاني، الضباط الألمان، البعثات العسكرية العثمانية.

German influence in the Ottoman Empire: the military field as a model (1876-1909)

Dr. Gamal Sobhi Talib

Directorate of Education in Salah al-Din Governorate

Abstract:

During a period when European countries were achieving rapid industrial and military advancements, particularly in the early nineteenth century, the Ottoman Empire was struggling with outdated industrial and economic systems. This disparity contributed significantly to the Empire's weakness, especially in the military field, and led to growing dissatisfaction among the populations of its European territories, who began to reject Ottoman rule.

The Ottoman Empire entered a difficult phase, caught in a struggle with European colonial powers eager to seize its lands. The Ottoman Empire was forced to establish good relations with Germany, which appeared on the scene of international events in the late nineteenth century as a new political and economic force on the European continent, working to get closer to the Ottoman Empire and get closer to it in a new policy known in that period as (the rush towards the East), whose goal was Strengthening friendly relations with Sultan Abdul Hamid II. To achieve this step, Germany provided great aid and facilities to the Ottoman Empire in the military aspect, and sent expert, officers, and various weapons, in addition to providing modern weapons factories and military plans.

Keywords: Germany, Ottoman Empire, Ottoman army, Abdul Hamid II, German officers, Ottoman military missions.

المقدمة:

مثلت سنوات حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909) مرحلة تاريخية مهمة في تطور العلاقات العسكرية العثمانية الألمانية، وهي مرحلة مهمة ومفصلية في تاريخ الدولة العثمانية، ولاسيما بعد الهزائم المتلاحقة التي لحقت بالدولة العثمانية مع روسيا، وكذلك ما شهدته المؤسسة العسكرية العثمانية من ضعف نتيجة نقص الخبرة، وقلة الأسلحة المتطورة التي كان يمتلكها الجيش العثماني، فضلا عن أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني كان ينظر إلى الألمان بأنهم الأقرب إلى الدولة العثمانية من بقية الدول الأوروبية وأن ليس لهم أطماع داخل أراضي الدولة العثمانية إذ حاول بذل الوسائل المتاحة كافة لتعزيز قدرات الجيش العثماني من استدعاء الخبراء الألمان، فضلا عن إرسال البعثات العسكرية العثمانية إلى الخارج؛ لكسب الخبرة العسكرية الكافية كذلك اتاحت فرصة ابتعاد بريطانيا وفرنسا عن الدولة العثمانية مع دخول ألمانيا وزيادة نفوذها داخل الدولة العثمانية بعد التقارب العسكري أثناء مدة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وقد عمل السلطان على توثيق العلاقات بقوة، ولاسيما أن الدولة العثمانية كانت تمر بأصعب المراحل في تاريخها نتيجة الظروف الإقليمية والدولية في تلك المدة سواء من الداخل أم الخارج وتآمر الدول الأوروبية على تقسيمها والقضاء عليها، إذ احتاج السلطان عبد الحميد الثاني دولة يستند إليها ولم يجد سوى ألمانيا لتعزيز القدرات العسكرية للدولة العثمانية.

أولا: التطور التاريخي للعلاقات العسكرية العثمانية الألمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م:

1- بدايات التقارب العسكري العثماني الألماني:

تعود بداية العلاقة العسكرية العثمانية الألمانية إلى عهد السلطان سليم الثالث⁽¹⁾ (1789-1807م)، إذ استعان بخبراء من بروسيا لتطوير القدرات الدفاعية وجلب ضباط اختصاص في ذلك الشأن (هنداوي، 2015، ص102)، وزادت تلك العلاقة في مدة حكم السلطان محمود الثاني⁽²⁾، إذ شهدت عدة محاولات لتحديث الجيش العثماني، وكانت الدولة تسعى للاستعانة ببعض الخبراء والمستشارين الأجانب، ولاسيما الألمان للقيام بعملية التحديث (Sahders'e Ve dig'erleri, 306)، واستخدمت الدولة العثمانية في تلك المدة الخبراء والمدرّبين الأوروبيين

(1) سليم الثالث (1789-1807م): أول السلاطين العثمانيين من أطلق عليه لقب مصلح في عهد التنظيمات وكان من رواد الإصلاح إذ اهتم اهتماما كبيرا في عمليات الإصلاحات؛ لأجل وصول الدولة العثمانية إلى مصاف الدول الكبرى. (طالب، 2021، ص35)

(2) محمود الثاني (1785-1839م): ولد في استانبول وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول ويعد من أشهر السلاطين العثمانيين، إذ انماز حكمه بكثرة الإصلاحات العسكرية. (كولن، 2015، ص258-264)

وكان في مقدمتهم الضابط البروسي هلموث فون مولتكه⁽³⁾ (Helmuth Von Moltke) 1835م للإشراف على تدريب القوات العثمانية الجديدة وعلى كيفية استعمال الأسلحة والعمل على وضع أحدث الخطط والتكتيكات القتالية إلى جانب ضباط الجيش العثماني، وعمل السلطان محمود الثاني كذلك على تعزيز المعرفة العسكرية بين ضباط الجيش، إذ اهتم بإرسال ضباط الجيش في بعثات علمية إلى أوروبا، ولاسيما إلى الكليات العسكرية الألمانية (البزاز، 2006م، ص113-114)، إلا أن تلك البعثات لم تسهم بشكل فاعل في تقوية وزيادة النفوذ الألماني في داخل الدولة العثمانية (الوائلي، 2005م، ص526) .

وربما يعود السبب في ذلك إلى تواضع تلك البعثات، وقلة عدد المبعثين فيها، فضلا عن عدم الجدية في تلقي التدريب والمعلومات العسكرية ولاسيما أنها كانت أولى البعثات التي قامت الدولة العثمانية بإرسالها إلى ألمانيا لتلقي التعليم والتدريب العسكري وعدم تعود الضباط العثمانيين على تلقي التدريب العالي والتعامل مع التطورات في العلوم العسكرية والتعامل مع الأسلحة الحديثة وكيفية استعمالها وصيانتها .

2- التعاون العسكري العثماني الألماني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني:

طلب السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1880 م من القيصر الألماني وليم الأول (William I) وذلك عن طريق سفيره في اسطنبول هلموث هرتسفيلد (Helmuth Hirtisfeld) المساعدة في إرسال عدد من الضباط الألمان لتنظيم الجيش العثماني (الوائلي، 2005، ص527-528) .

وبعد ذلك تعززت العلاقة العسكرية العثمانية الألمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني⁽⁴⁾، إذ إن مسألة تحديث الجيش العثماني كانت مسألة مهمة للغاية، فقد مثلت البداية الحقيقية للتعاون العسكري وشهدت ثمانينات القرن التاسع عشر للميلاد دعوات متلاحقة لوفود

(3) هلموث فون مولتكه (1800-1891م): ولد في مدينة بارشيم الألمانية، كان كاتباً ومؤرخاً ثم عمل في السلك العسكري، وتدرج في الرتب العسكرية حتى امتلك خبرة عسكرية كبيرة حتى أنه عمل مستشاراً عسكرياً لدى الجيش العثماني. (ق. ن دوبيوي، 1983، ص18)

(4) السلطان عبد الحميد الثاني (1842-1918م): هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية والسادس والعشرون من سلاطين آل عثمان الذين جمعوا ما بين الخلافة والسلطنة، وتنقسم مدة حكمه إلى مرحلتين: المرحلة الأولى وقد دامت مدة عام ونصف ولم تكن له سلطة فعلية والمرحلة الثانية حكم حكماً فردياً أطلق عليه (دور الاستبداد) وقد دامت مدة حكمه ثلاثون عاماً خلع في انقلاب 1909م. (تحسين باشا، 2017، ص16)

ألمانيا لزيارة الدولة العثمانية للنظر في قضية تحديث الجيش، بيد أن التكاليف المالية لتلك الوفود العسكرية كانت باهظة للغاية، ولكن الواقع أن الجيش العثماني كان في أمس الحاجة للتحديث، ولاسيما من ثلاثة جوانب هي: الجانب الإداري والجانب المتعلق بالتقنية، وكذلك الجانب المتعلق بالتحديث بصورة عامة حتى يصل إلى درجة الجيوش النظيرة له في أوروبا (A.G.E. Ozhuldur, p.30)، وكذلك أن الألمان استغلوا الأوضاع ولاسيما بعد أن تركت بريطانيا فراغا شغله الألمان بدلا عنهم، وترحيب السلطان عبد الحميد الثاني بالفكرة ولاسيما أنه كان حريصا جدا على تقوية العلاقات مع ألمانيا بسبب الظروف القاسية التي كانت تمر بها الدولة (السعدون، 2008م، ص487)، إذ كان لدى السلطان عبد الحميد الثاني الرغبة في استغلال الخلافات بين الدول الأوروبية وتعزيز العلاقات مع ألمانيا بعد إعجابه بالقوة العسكرية الألمانية ولاسيما بعد الانتصار الذي حققته بروسيا على الإمبراطورية النمساوية في معركة سادوا Sadwa⁽⁵⁾ (سلمان، 2010م، ص88)، (هنري لورنس، 2018م، ص129) عام 1866م فعزم على تقوية الجيش العثماني، وذلك بعد الهزائم الكبيرة مع روسيا عام 1877م (الوائلي، 2005، ص527).

إن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني بالعمل على تعزيز التقارب العسكري مع ألمانيا قد جاءت بعد أن فقد السلطان الثقة ببقية الدول الأوروبية مثل: بريطانيا وفرنسا (سعداوي، 1991، ص118)، وأن هناك العديد من الأسباب التي دعت السلطان عبد الحميد الثاني للتقارب العسكري مع ألمانيا إذ كان يرى أن ألمانيا تعد من الدول الصناعية في تلك المدة وأن الألمان بحسب ما كان يراه لم يكن لهم أطماع توسعية وبصورة علنية ومباشرة داخل الدولة العثمانية، (طاهر، 2014، ص149). ومن ثم إعجاب السلطان عبد الحميد الثاني بالنظام العسكري الألماني دعاه إلى طلب تدريب الجيش العثماني فضلا على ذلك الظروف غير الجيدة التي كان يمر بها الجيش العثماني في تلك المدة، إذ كان الجيش يعاني من عدم الكفاءة في المهام الإدارية العسكرية والضعف في اتخاذ القرارات التي كانت تصدر من القيادات العسكرية وقلة الأعتدة الحديثة التي كان يملكها الجيش والخطط المتقدمة التي تضع الجيش بالمقدمة بدل التراجع (نجم، 2010م، ص364).

⁽⁵⁾ سادوا أو ما يطلق عليها سادوفا: وهي المعركة التي اندلعت عام 1866 في الثالث من تموز ما بين بروسيا والنمسا، وانتهت بهزيمة القوات النمساوية فأستجذبت الأخيرة في نابليون الثالث امبراطور فرنسا لإقرار السلم.

3- الاستعانة بالخبراء الألمان لتطوير قدرات الجيش العثماني:

استعانت الدولة العثمانية خلال السنوات 1834-1839 بمجموعة من الضباط الألمان الكبار لتدريب الجيش العثماني وفقا للأساليب الحديثة في تلك المدة (أحمد، 1984م، ص29)، وعلى الرغم من أن البعثات الأولى قد تركت العاصمة استانبول عام 1839م إلا أن قسما منهم استمروا بتقديم التدريب للجيش العثماني، وكانت البداية للتقارب العسكري الألمانى على الرغم من أن تلك البعثات لم تحقق النتائج المطلوبة في إعادة تنظيم الجيش ووضعه في مصاف جيوش الدول المتقدمة (طاهر، المصدر السابق، ص150).

وبناء على ذلك أخذ الجانب العسكري أهمية كبيرة لدى السلطان عبد الحميد نتيجة للخسائر التي منيت بها الدولة العثمانية أمام روسيا عام 1877م، بعد فشل الجيش العثماني فشلا ذريعا في الحروب التي خاضها أثناء الحقب المتأخرة في تاريخ الدولة العثمانية، ولم يحقق النجاحات التي كان قد حققها أثناء المدة التي شهدت تطور وازدهار الدولة العثمانية، ولذلك كان من الضروري الإسراع في عملية تحديث الجيش، وقد أدت الخسائر المتلاحقة التي مني بها الجيش قيام الحكومة بالعمل على انقاذ ما يمكن انقاذه في ارسالها الوفود العسكرية إلى ألمانيا (Ozguidur, Yuzba, si, p.306).

وشهدت المدة التي اعقبت عام 1880م تقديم دعوات بشكل مكثف للبعثات العسكرية الألمانية لأجل تحديث الجيش، وكان الهدف الأساس من تلك الدعوات هو انقاذ الدولة العثمانية من العزلة السياسية التي كانت تعيش فيها ولذلك السبب فإن بناء علاقات متينة مع ألمانيا كان يعتمد على تقديم المساعدات السياسية والعسكرية، ومن الملاحظ أن الامتيازات الكبيرة التي منحت إلى الضباط الألمان وكذلك المتخصصين المدنيين لم تحظ بالقبول والرضا من طرف العاملين في المجال العسكري والمدني في الدولة العثمانية، وفي الواقع فإن الألمان لم يكونوا على علم بعادات العثمانيين ولغتهم بل لم يظهروا أي رغبة في تعلم تلك الأشياء (Ozuldur, Yuzba, si, p.307).

ومن الواضح أنه كانت هناك أهداف من إرسال المختصين الألمان إلى الدولة العثمانية، ولاسيما أن الجيش العثماني كان في أمس الحاجة إلى التحديث والتدريب وبعبارة أخرى يمكن القول إنه كانت توجد هناك أهداف محددة من إرسال العساكر والمستشارين الألمان ونتيجة لذلك نجحت ألمانيا في الحصول على مكاسب سياسية وعسكرية داخل الدولة العثمانية وفي الوقت نفسه كانت هناك رقابة مفروضة على البعثات العسكرية الموجودة داخل الدولة

العثمانية والتي تتبع للدول، وهكذا صار السلاح الألماني يباع إلى جيش الدولة العثمانية (Abdulhamit, 2000, p.308).

وبناء على ذلك تضاعف عدد البعثات الألمانية الموجودة على الأراضي العثمانية لتحديث الجيش وبذلك الصورة ازدادت الحاجة إلى السلاح والمستلزمات العسكرية وشهدت المدة من 1885 إلى 1895م قيام اللجنة العسكرية التي كانت برئاسة فون ديرغولتز (Phone Dirgoltz)⁽⁶⁾، بتقديم طلبية الحصول على مستلزمات حربية من ألمانيا بقيمة 100 مليون فرنك (Turan, p.308) وذلك بإقناع معامل الأسلحة الألمانية بتجهيز الدولة العثمانية بمدافع من طراز كروب لتحسين الدردنيل وتجهيز البحرية العثمانية بعدد من الزوارق العسكرية والطوربيد والبنادق، إذ عدت تلك الخطوة مهمة جدا في إعادة تسليح الجيش العثماني وعاملا مهما في توثيق العلاقات الألمانية العثمانية (ناجي، (ب.ت)، ص9).

شهدت المدة 1889-1898 تقاربا في العلاقات العثمانية الألمانية وذلك على إثر الزيارتين اللتين قام بهما القيصر الألماني وليم الثاني (William II) الى الدولة العثمانية (الوائي، ص528)، وبدأ السلطان عبد الحميد الثاني باتخاذ خطوات مهمة وقوية لتعزيز قدرة الجيش العثماني بالتعاون العسكري مع الألمان، ولاسيما الاستعانة بالمختصين العسكريين لتدريب وتجهيز الجيش بمختلف الأسلحة المتطورة والحديثة فضلا على ذلك فتح العديد من المدارس العسكرية تشمل التخصصات العسكرية جميعا (بيات، 2003، ص449)، وفي الوقت نفسه عملت الحكومة العثمانية على إرسال طلاب لتلقي العلوم العسكرية في الدول الأوروبية، وفي مقابل ذلك طلبت الحكومة من ألمانيا إرسال هيئة من الضباط الألمان إليها إذ شهدت مدة حكم السلطان عبد الحميد الثاني اجراء بعض التحديثات التي كانت تهدف إلى تحديث الجيش، وإيصاله إلى درجة التحديث التام، وصارت المدرسة الحربية تتلقى النظام الحديث في السلك العسكري وعلى الرغم من محدودية الثقافة الغربية اثناء تلك المدة، إلا أنها لفتت انتباه المرشحين لدرجة الضباط وفي الحقيقة كانت الجهود مبذولة لأجل ايصال الجيش إلى الدرجة المطلوبة في التحديث، وبناء على ذلك قررت الدولة ابتعاث بعض الضباط إلى الدول الأوروبية لتلقي العلوم العسكرية بصورة حديثة لمواكبة متطلبات الحداثة والعصر (Turkmen, 2017, p.953).

(6) فون ديرغولتز: ابرز القادة في الجيش الألماني الامبراطوري، ذو اطلاع كبير ومحنك في العلوم العسكرية، خدم الجيش العثماني ما يقرب من 13 عاما، وكان من دعاة الهجرة الألمانية على اسيا الصغرى. مذكرات رؤوف البجراني، لمحات عن وضع العراق في اواخر العهد العثماني من 1900-1920. (الحسيني، 1993م، ص81)

4- البعثات العسكرية العثمانية الى الدول الاوربية:

عمل السلطان عبد الحميد الثاني على اصدار القرارات المهمة التي كان من ضمنها إرسال الطلاب في بعثات عسكرية إلى مختلف الدول الأوروبية مع عدم الاعتماد على دولة أوربية واحدة فقط، ومن الواضح أن ذلك الرأي حظي بالقبول والترجيح، وفي عام 1882م تم إرسال عشرة من الضباط العثمانيين إلى ألمانيا لتلقي علومهم هناك وبمرور الزمن حل الضباط العثمانيين المتدربين محل البعثات الأجنبية، وفي الحقيقة أصبحت ألمانيا هي الوجهة التي تم إرسال الضباط العثمانيين إليها لتلقي علومهم فيها والجدير بالذكر أن القائمة المرشحة من الضباط للإرسال خارج البلاد لتلقي العلوم شملت تسعة عشر ضابطا عثمانيا (Turan, 2000, P.307)، ويمكن بيان اسماء الضباط على النحو الآتي: الرائد فوزي بك، والرائد علي كمال بك، والرائد فتاح بك، والنقيب محمد بكر بك، والنقيب نامق بك، والنقيب رشيد بك، والملازم أول محمد أمين بك، والملازم أول صالح بك، والملازم أول جمال بك، والملازم عزت بك، والملازم حسن بك، ومن الضروري هنا الإشارة إلى أن عملية اختيار هؤلاء الضباط كانت مبنية على اساس المهارة والكفاءة في المجال العسكري بجانب الاعجاب بألمانيا، وفي عام 1889م قام فون دير غولتز باشا بإرسال تقرير إلى ألمانيا تساءل فيه عن نوعية الطلاب المطلوبين لغرض ابتعاثهم الى ألمانيا لتلقي التدريب فيها بحسب الصنوف العسكرية.

ولأجله فإن إرسال الطلاب كان بموجب الرد الوارد من ألمانيا في ذلك الخصوص (Turan, 2000, p.307)، والجدير بالذكر أن الضباط العثمانيين الذين تم إرسالهم إلى أوروبا لم يكتفوا بالتعليم العسكري فقط بل اطلعوا على الفكر السياسي الحديث في تلك الدول فضلا عن ذلك اطلعهم على بعض المفاهيم الاخرى مثل: مفهوم الحرية، ومفهوم المساواة، ومفهوم حب الوطن، وغير ذلك (Turkmen, 2017, p.954)، وهنا لا بد من الإشارة أيضا إلى أن السلطان عبد الحميد الثاني اغفل خطورة المواد والمناهج التي يتم تدريسها وتم وضعها من قبل البعثة العسكرية الألمانية، وكانت أغلب تلك المناهج ذات طابع اشتراكي واجتماعي اتاحت فيما بعد لتدخل الجيش في القرارات وعمل السلطان على الطلب من ألمانيا بعد الخسارة مع روسيا على إرسال البعثة الألمانية بقيادة اوتو كليمر (Otto Keahler)⁽⁷⁾، لإعادة تنظيم الجيش الثاني، وقد أجرت البعثة

(7) اوتو كليمر (1830-1885): ولد في مقاطعة كونينغبيرغ البروسية التحق بالقوات البروسية عام 1848م وعمل في قوات الفرسان عام 1852م وفي عام 1856م التحق بالأكاديمية الحربية ليتخرج منها معاونا للفرع، شارك في القتال بالحرب البروسية النمساوية والحرب الألمانية الفرنسية، وفي عام 1882م عمل في خدمة القوات العثمانية. (طالب، 2021، ص291)

دراسة شاملة حول عملية التحديث الواجب اتخاذها في ذلك واوكلت المهمة في ذلك الشأن إلى القائد الألماني فون دير غولتز (مجموعة باحثين، 2019م، ص1029).

ويمكن القول: إن عملية التحديث في الجيش العثماني بدأت عقب حرب البلقان (1875-1878) (العبيدي، 2000م، ص91-124) إذ بدأت الدولة العثمانية بتقديم الدعوة إلى الوفود الألمانية العسكرية لزيارتها؛ للاطلاع على مسألة تحديث الجيش، ومن الملاحظ أن بعض قادة الجيش العثماني كان لهم رد فعل مخالف لعملية التحديث تلك، وعلى الرغم من ذلك إلا أن عملية التحديث لم تتوقف، ويمكن القول: إن أهم عملية تحديث قامت بها وزارة الحربية أثناء تلك المدة كانت إلغاء تشكيلات الرديف الاحتياط ووفقا لعملية التحديث الجديدة آنذاك فقد تم تقسيم الفيالق العسكرية في الدولة العثمانية إلى ثلاثة عشر فيلق (Turkmen, 2017, p.329)، وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتحديث الجيش العثماني إلا أنه لم يتم الحصول على النتائج المطلوبة لغاية عام 1909م نهاية حكم عبد الحميد الثاني، والحال أن الاختصاصيين الألمان واجهوا عدة مشاكل للقيام بما هو مطلوب منهم بالقدر الكافي (Ortayll, 1981, p.70).

ويمكن ملاحظة ذلك بالتقارير المقدمة من الوفود العسكرية الألمانية بدءا من وفد القائد العسكري الكبير فون مولتكه، وبدورهم قام المستشارون الألمان بعكس تلك الحقائق إلى بلادهم ولعل من الأسباب التي أدت إلى فشل الوفود العسكرية هي عدم الإلمام باللغة العثمانية، وكذلك عدم المعرفة بالدولة العثمانية بصورة جيدة، كذلك أن المعاشات العالية التي طالب بها أولئك المستشارون لم تجد القبول لدى الدولة العثمانية، وفي ذلك الإطار وقعت مجموعة من الشباب العثماني ضد ألمانيا بصورة واضحة وكبيرة وذلك أثناء مدة المشروطية 1908م⁽⁸⁾، وكذلك في عام 1909م أي: المدة التي تم بها عزل السلطان عبد الحميد الثاني مرت العلاقات بين الدولة العثمانية وألمانيا في حالة من عدم الاستقرار استمرت لغاية انهيار الدولة العثمانية وفيما يتعلق بالشباب العثماني فقد استمر بتوجهاته ضد ألمانيا على النحو المذكور (OrtayII, 1981, p.71).

ومن جهة أخرى كانت الجهود والمسااعي المبذولة لأجل أن تحظى التأثيرات التي خلفها فون دير غولتز باشا وبقية الضباط الآخرين بالبيئة المناسبة، ولاسيما إذا وضعنا في الاعتبار تأثير التغيرات التي حدثت في السياسة الخارجية فضلا عن ذلك فإلى جانب ألمانيا كانت هناك دول أخرى كبيرة قامت بإبرام معاهدات تهدف إلى تقسيم

(8) المشروطية: وهي دعوة إلى اقامة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور. (المرجة، 2018م، ص214)

الدولة العثمانية، وكما هو معلوم فإن مسألة التقسيم بدأت باللقاء الذي جمع القيصر نيكولا الثاني⁽⁹⁾، وابن اخته الملك إدوارد السابع⁽¹⁰⁾، في ميناء ريفال تالين Talin Reval في بحر البلطيق في التاسع من حزيران 1908م (العزوي ، 2017م، ص109).

ومن الملاحظ أن ألمانيا كانت تدعم الأراضي كافة التابعة للدولة العثمانية في آسيا؛ لأنها لم تكن موجودة بين أولئك الذين قاموا بتقسيم الأراضي، ولذلك السبب كانت الدولة العثمانية تقف إلى جانب ألمانيا، أما فيما يتعلق بالسياسة القائمة على التسليم إلى ألمانيا دون شروط فقد وصلت إلى نقطتها الأخيرة بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وفي الوقت ذاته يمكن القول: إن جيش الدولة العثمانية اقترب من الوصول إلى درجة التحديث إلى حد ما في الربع الأول من القرن العشرين (Ortayll, 1981, p.71).

ومن الواضح أن الدولة العثمانية سلمت أمرها بشكل كامل إلى ألمانيا فيما يتعلق بتحديث الجيش، إذ اعتمدت على التعليم الألماني، وكذلك على الضباط والمستشارين الألمان، وكان الدعم المادي والمعنوي في ذلك المجال مركزا على كسب الثقة الألمانية، ويتضح ذلك بصورة جلية بوقوف الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، ونتيجة لذلك اضطرت الدولة العثمانية إلى دفع فاتورة باهظة (Turan, 2000, p.308)، ولاسيما مع التهديد الذي كانت تشكله بعض الدول الخارجية لمواجهة الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه استمرت الجهود في الداخل لأجل تحديث الجيش، وفي الحقيقة فقد اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بمسألة تحديث الجيش اهتماما كبيرا للغاية، ولذلك السبب تم تشكيل وزارة التجهيزات العسكرية تشبه إلى حد كبير "صندوق دعم المجهود الصناعي الحربي"، وفي الحقيقة تمكنت وزارة التجهيزات العسكرية من جمع

(9) القيصر نيكولا الثاني (1868-1918م): ولد في بوشكين وهو آخر امبراطور روسي تزوج بالأميرة اسكندرا وتولى العرش 1895م، واعد من طرف البلاشفة. (حسن، 1982م، ص172)

(10) إدوارد السابع: هو ابن الملكة فيكتوريا واول عاهل من بيت ساكس كوبورغ الذي غير تسميته ابنه الملك الخامس الى بيت وندسور، وشغل قبل اعتلائه العرش منصب ولي العهد وأمير ويلز لمدة أطول من أسلافه، تزامن العهد الإدواردوي (والذي سمي باسمه مع طفرة تكنولوجية واجتماعية مهمة تمثلت اساسا بظهور الطيران وصعود الاشتراكية)، وادى ادوارد السابع دورا مهما في تحديث الاسطول البريطاني الداخلي وتحديث الخدمات الطبية للجيش البريطاني واعادة تنظيم الجيش اثر حرب البوير الثانية، وعمل على تعزيز العلاقات بين بريطانيا والبلدان الاوربية الاخرى ولاسيما فرنسا حتى صار يسمى بـ (صانع السلام). (محمود وآخرون، 2008، ص459-470)

أموال كثيرة جدا في كل ولاية من ولايات الدولة العثمانية، وقد تم انفاق تلك المبالغ المجموعة كافة باسم الجيش، وكان ذلك الصندوق بمثابة النجاح للدولة العثمانية (Turkmen, 2017, p.488).

وباستثناء الوثائق الموجودة في الأرشيف العثماني فإنه لا توجد هناك أي معلومات عن الوزارة المشار إليها، ويمكن القول: إن أقدم وثيقة تتعلق بتلك الوزارة تعود إلى 1310هـ/ 1894م (Turkmen, 2017, p.480)، وبحسب ما تم فهمه من ذلك فقد قام السلطان عبد الحميد الثاني بشراء أسلحة بتشجيع من المستشارين الألمان، وكان لتلك النظارة دور كبير في توفير المبالغ اللازمة لشراء السلاح، والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قامت في مدة لاحقة باستعمال السلاح المذكور في الدفاع عن أراضيها، وإذا جئنا إلى موضوع المستشارين الذين كانوا يأتون من ألمانيا، فمن الملاحظ أنهم كانوا يرسلون التقارير إلى ألمانيا، وكانت تلك التقارير تحوي بعض المعلومات التي تمثل الواقع الذي عليه الجيش العثماني، والبنية الاجتماعية للعثمانيين، وكل ما يتعلق بالجوانب السياسية والثقافية وغير ذلك من المسائل الأخرى (Be, sirli, 2004, p.133)، وبذلك الصورة كان المستشارون الألمان يقدمون خدمة كبيرة لبلادهم عبر تلك التقارير التي كانوا يرفعونها من حين لآخر، ومع مرور الزمن كان المتقنون العثمانيون يميلون إلى الفكر الغربي لإنقاذ بلادهم التي كانت تعاني حالة من الانهيار (Turkmen, 2017, p.955).

وقد أدى ذلك دورا مهما في لجوء طلاب المدرسة الحربية والضباط الذين تخرجوا منها إلى المجال السياسي متأثرين بتلك الأفكار التي كانت سائدة أثناء تلك المدة، وعلى ذلك الأساس يمكن القول: إن مسألة تسييس الجيش العثماني بدأت من عام 1880 لغاية عام 1908م وما يقرب من ثمانية وعشرين عاما تعد مدة مهمة جدا ولاسيما في تاريخ الجيش العثماني (Turkmen, 2017, p.954).

إن المدة المذكورة كانت مليئة بالتأثيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، والجدير بالذكر أن الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر للميلاد شهدت ظهور عدة أفكار وسط الضباط الشباب العسكريين الذين كانوا يدرسون في المدرسة الحربية ومدرسة الأركان الحربية، إذ كان من بين أولئك الضباط والطلاب المحافظين والليبراليين والقوميين والماركسيين والغربيين أي: المتأثرين بالفكر الغربي، ومثلت نتيجة ذلك التغيير الذي طرأ على الجيش العثماني مدة التحديث، ومن الملاحظ أن الضباط لم يكونوا هم الوحيدون الذين دخلوا المجال السياسي بل كانت هناك مجموعة من الجنود قد دخلت ذلك المجال كذلك (Turkmen, 2017, p.954).

ومن الواضح أن بعض ضباط الدولة العثمانية لم يكونوا راغبين في وجود الضباط الألمان بناء على ذلك لم يخضع الضباط العثمانيون لأوامر الضباط الألمان الذين كانوا يرفعون التقارير إلى بلادهم، وهي التقارير التي لم تعكس الحقائق المتعلقة بالوضع المالي للدولة العثمانية، وكذلك الوضعية التي كان عليها الجيش ولذلك السبب كان الضباط العثمانيون يقفون في مواجهة الضباط الألمان ومن الواضح أن المستشارين الألمان لم يحققوا أي نجاح في ذلك الخصوص، وعلى الرغم من ذلك إلا أن ألمانيا استفادت من ذلك الوضع بشكل كبير جداً، إذ انعكست نتيجة ذلك إيجاباً على الاقتصاد الألماني ومصانع الأسلحة الألمانية وهكذا دخلت الدولة العثمانية بشكل أو بآخر تحت النفوذ الألماني، ولاسيما في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية (Ozyulduur, p.307)

ثانياً: التعاون العسكري العثماني الألماني في مجال الأسلحة وطرق النقل في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م:

1- الأسلحة الألمانية داخل الدولة العثمانية:

تطورت العلاقات العسكرية بين الدولة العثمانية وألمانيا بصورة جلية أثناء العقد الأخيرة من القرن التاسع عشر للميلاد، وكان عامل السلاح الألماني هو العامل المؤثر في تلك العلاقات وبدوره قام السلطان عبد الحميد الثاني بإحضار المستشارين لتحديث الجيش، بيد أنه لم يحصل على النتائج التي كان يتوقعها ويرجوها، ومع ذلك أدى دوراً كبيراً ومهماً فيما يتعلق بمسألة إدخال الأسلحة، وفي الواقع فقد امتلك جيش الدولة العثمانية أثناء مدة وجيزة للغاية السلاح الألماني، ولاسيما المدافع المعروفة باسم كروب (Krupp) ومن جهة أخرى لم يحقق الضباط الذين جاءوا من ألمانيا الأهداف المنوطة بهم، وربما يعود ذلك إلى مجموعة من الأسباب المتباينة (سنو، 2007م، ص54) .

وقامت بعض البعثات العسكرية الألمانية التي كانت تعمل لدى الدولة العثمانية أثناء الحقب الزمنية المختلفة، ولاسيما غولتر باشا بتقديم طلبيات سلاح إلى مصانع الأسلحة في ألمانيا، ونلاحظ أن هناك عدة بعثات عسكرية تعاملت مع مصنع مدفع كروب (Krupp) بوصفه الممثل التجاري للدولة العثمانية وفي ذلك الإطار وقف الإمبراطور الألماني ويليام الثاني (William II)⁽¹¹⁾، وأعضاء الحكومة الألمانية مع مصنع كروب (Krupp) في مواجهة المنافسين الآخرين

(11) ويليام الثاني (1805-1941): ابن فردريك الثالث إمبراطور ألمانيا كان من الشغوفين بالحياة العسكرية، وأحد المتسببين بالحرب العالمية الأولى. (العسلي، 1987م، ص201)

له الموجودين في الدولة العثمانية وبدوره قام البنك الألماني بتأمين المبالغ اللازمة لذلك (Be, 2004, p.133).

ومن الواضح أن شراء الأسلحة الحديثة، وامتلاك المعلومات اللازمة عن الاستراتيجيات، والتوسع في خطوط السكك الحديدية أدت دورا كبيرا ومهما فيما يتعلق بالجيش وحرية في الحركة، والحال أن تلك التطورات كافة تمت وفقا للتعاون الذي كان موجودا مع ألمانيا وفي الحقيقة فإن الأسلحة التي تم شراؤها من ألمانيا قام الالمان انفسهم بتعليم استعمالها الى افراد الجيش العثماني، إذ إن العلاقة التي كانت تربط بين هؤلاء الضباط ومصانع الأسلحة أجبرت الدولة العثمانية على شراء الأسلحة من المصانع المذكورة (Ortayll, 2021, p.71).

ومن جانب آخر بدأ الجيش العثماني باستعمال السلاح الأمريكي منذ عام 1840م، إذ شهدت الأعوام الأولى من عهد السلطان عبد الحميد الثاني تنامي التجارة بين هاتين الدولتين، وكانت نسبة شراء السلاح الأمريكي قد وصلت الى (90%) من تلك التجارة غير أن هناك تغيرات طرأت على ذلك التوازن مع مرور الوقت، إذ شهد عام 1870م دخول المصانع الألمانية إلى سوق السلاح بالدولة العثمانية ومنذ ذلك التاريخ بدأت منافسة قوية بين أمريكا وألمانيا، وبعد مرور مدة زمنية قصيرة من تلك المنافسة، كانت الكفة الراجحة هي كفة ألمانيا، وفي عام 1877م بلغت قيمة الأسلحة التي قامت أمريكا ببيعها الى الدولة العثمانية بما يقارب (1,000,000) ليرة عثمانية، وفي عام 1883م انخفض ذلك المقدار بنسبة (80%) أي: وصل إلى (138,000) ليرة عثمانية فقط (Be, sirli, 2004, p.134).

ومن الواضح أن وصول البعثات العسكرية الألمانية إلى الدولة العثمانية كان يعود كذلك إلى بيع الأسلحة الموجودة في المخازن الألمانية إلى الدولة العثمانية، وذلك عقب انتهاء الحروب مثل: حرب البلقان، ولعل من الأدلة الواضحة على ذلك هو قيام فون دير غولتز في عام 1885م بتقديم طلبية شراء (500) مدفع من المدافع الثقيلة من مصانع كروب (Krupp) لصالح الجيش العثماني، وفي العام التالي 1886م تم شراء (426) مدفعا من مدافع الصحراء ومعها (60) مدفع هاون وفي عام 1887م تم شراء قرابة النصف مليون قطعة من البنادق، وعلى النحو نفسه بلغت مبيعات الأسلحة الألمانية إلى الدولة العثمانية في عام 1894م (12,2) مليون مارك في عام 1895م، ومن الملاحظ أن هناك مبالغ كبيرة كانت ترصد سنويا لطلبات السلاح تلك، وعقب تلك الطلبات تم منع المصانع البريطانية والفرنسية من سوق الدولة العثمانية، وفي ذلك قام القائم بالأعمال الأمريكي في استانبول بإرسال خطاب في عام 1894م إلى وزير الخارجية في واشنطن شرح فيه تفاصيل الأوضاع، وعلى الرغم من تفوقهما في سوق

السلاح إلا أن مصنعي كروب (Krupp) وموسر (Moser) كانا يبيعان الأسلحة بأثمان باهظة، وفي بعض الأحيان كانا يبيعان أسلحة غير جيدة ويمكن القول: إن ألمانيا رغبت في أن تسير تجارة السلاح على تلك الصورة ولذلك السبب لم ترغب في إيقاف مسألة إرسال الضباط إلى الدولة العثمانية لأجل القيام بعملية تحديث الجيش (Ortay Il, 2021, p.68).

ويمكن القول: إن الهزيمة التي تلقتها الدولة العثمانية في حرب البلقان (1875-1878م) ساعدت بصورة كبيرة على زيادة عدد الضباط الموجودين في البعثات العسكرية الألمانية والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قامت أثناء المدة الممتدة من عام 1888م إلى عام 1898م بشراء أسلحة وذخيرة من ألمانيا بما يقدر الـ(70) مليون مارك (Turan, 2000, p.308).

لقد شهدت المدة التي أعقبت حرب ثلاثة وتسعين⁽¹²⁾، تنافس الدول على تصدير السلاح، وكانت تلك الدول تعيش حالة من المواجهة فيما يتعلق بتصدير السلاح، ذلك التقرير أشار إلى ضرورة تقوية الجيش وأهمية تسليحه، ولاسيما أن جيوش الدول الأخرى صارت تشكل خطورة واضحة ولذلك السبب أوصى بتقوية العلاقات مع ألمانيا، وبدوره قام السلطان عبد الحميد الثاني بتقييم الموقف ورجح كفة الميل إلى الألمان، ومن جانب آخر بدأ وصول المستشارين منذ عام 1870م، ونتيجة للجهود التي قام بها أولئك المستشارين ازداد استعمال السلاح الألماني في الدولة العثمانية، وصارت توجد هناك كميات كبيرة من الأسلحة في مصانع العتاد العسكري، ولاشك أن ذلك يشير بصورة أخرى إلى أن تلك المصانع في طريقها للإفلاس، ولاسيما مع توقف حركة الشراء ونجد من أشهر تلك المصانع (Loewe Krupp & Mouser) وفي الوقت الذي كان فيه مصنع كروب (Krupp) أثناء ذلك العام قاب قوسين أو أدنى من الإفلاس، دخل الألمان سوق السلاح لصالح الجيش العثماني (Nedim Ipek , 2002, p.162).

ونتيجة لذلك نجا المصنع من الإفلاس، بل ازدادت عمليات تصدير السلاح من يوم لآخر وبذلك أحكم المستشارون الألمان قبضتهم على الدولة العثمانية، وبفضل جهود أولئك المستشارين ازدادت مبيعات السلاح الألماني إلى الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه كان أولئك المستشارين يقومون بصورة منسقة بتقديم التقارير التي تدور حول وضع الدولة العثمانية إلى بلادهم، ومن الملاحظ أن الذين لم يقوموا بتقديم تلك التقارير، كان مصيرهم العزل.

(12) حرب ثلاثة وتسعين: عرفت بالتاريخ العثماني باسم (طوقسان أوج) إذ اندلعت سنة 1293 رومية التي تعد من أطول وأكبر الحروب خلال تلك المدة، والتي جرت ما بين العثمانيين والروس في 24 نيسان 1877م. (سلمان، 2013، ص42)

ومن جهة أخرى صدر قرار بتنفيذ عملية التحديث داخل الجيش العثماني، وفي ذلك الصدد تم إبرام اتفاقية بتاريخ 9 شباط 1887م مع مصنع (Mauser) لشراء (100,000) بندقية و(50,000) فلنتا و(100,000,000) إطلاقاً، وبلغ المقدار الذي تم تسليمه من تلك الأسلحة إلى مسؤولي الدولة العثمانية لغاية عام 1890م نحو (4000) فلنتا و(220,000) بندقية ماوزر (Mauser) وهكذا بدأ الفرق يظهر جلياً من خلال تقنية السلاح العالمي عليه صدر قرار بإنتاج (28,000) بندقية، وهي البنادق التي لم يتم تسليمها فيما بعد، وفي 15 تموز 1892م قام قائد الجيش بإبرام اتفاقية أخرى مع معمل مصنع (Mauser)؛ لأجل تسليم (200,000) بندقية جديدة (Ipek, 2002, p.163).

والجدير بالذكر أن دائرة المدفعية قامت أثناء عهد السلطان عبد الحميد الثاني بإنتاج بنادق مارتييني (Martini) مقلدة، وعلى النحو نفسه كانت دائرة الذخيرة تقوم بإنتاج الذخيرة، وهكذا كانت حركة التحديث داخل الجيش العثماني تسير على وفق الخطط الموضوعة، وكان من الضروري جداً تأمين عملية التطور تلك، وعلى الرغم من ذلك لم يحدث تطور كبير في ذلك المجال، وكان فقط يسمى بحدوث تطور في الجانب العسكري لا أكثر، والجدير بالذكر أنه كانت توجد هناك جهات تعيق استيراد الأسلحة من ألمانيا إلى الدولة العثمانية إبان مدة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ويمكن الإشارة إلى تلك الجهات بسماسرة مصانع السلاح، وفي الواقع توجد هناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها وهي أن الأسلحة التي يقوم الجيش بشرائها من ألمانيا لا بد أن تكون تحت سيطرة ومراقبة الضباط الألمان، ولذلك السبب فإن طلبات الأسلحة كانت تواجه من وقت لآخر حالة من الخلل والفشل، ولعل التقرير المقدم في ذلك الخصوص من طرف السفير العثماني بتاريخ 15 آب 1900م يمثل أكبر دليل على ذلك (Ortayll, 2021, p.69).

لقد كانت مصانع الأسلحة الألمانية وبصفة خاصة مصنع كروب تقوم ببيع المدافع وغيرها من المستلزمات العسكرية الأخرى إلى الدولة العثمانية وكان ذلك أثناء عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وقد وجد ذلك الأمر دعماً وسنداً من الضباط الألمان، وكذلك البنك الألماني، وكانت الدبلوماسية الألمانية هي التي تقوم بالتجهيزات السياسية كافة لعملية البيع تلك، وفي الحقيقة فلقد أدى غولتز باشا دوراً مهماً ومحورياً فيما يتعلق بطلبات الأسلحة الجديدة، وبدوره كان البنك الألماني هو الجهة التي تقوم بحل المشاكل المالية جميعاً (Be, sirli, 2004, p.134).

ومن جهة أخرى يتضح جليا أنه لم يكن هناك تفاهم وتناسق فيما يتعلق بالسياسة الداخلية لألمانيا اثناء مدة حكم اوتو فون بسمارك (Otto Von Bismark)⁽¹³⁾، وويليام الثاني، ويعود السبب في ذلك إلى سوء التفاهم الذي كان موجودا بينهما، وعلى الرغم من تلك الوضعية السيئة التي كانت عليها السياسة الداخلية، إلا أن السياسة الخارجية كانت موجودة بصورة كبيرة ولاسيما فيما يتعلق بالدولة العثمانية، وكما هو معلوم فإن الشخصيتين المشار إليهما نالا حيزا كبيرا في تاريخ الإمبراطورية الألمانية، وتمخضت نتيجة السياسة التي اختطها مع الدولة العثمانية في الحصول على المكاسب التي كانا يبحثان عنها ومن الواضح أن الضباط الألمان تم تعيينهم للخدمة في الجيش العثماني كان لهم دور كبير ومؤثر فيما يتعلق بمضاعفة النفوذ الألماني في الدولة العثمانية، إذ كان النفوذ الألماني قد بدأ في المجال العسكري للدولة العثمانية، إلا أن ذلك النفوذ امتد حتى المجالين السياسي والاقتصادي ومما لاشك فيه فإن تعيين الضباط الألمان للعمل في الدولة العثمانية ساعد بدرجة كبيرة على زيادة النفوذ الألماني في تلك الدولة.

وفي الحقيقة كانت ألمانيا تهتم بدرجة كبيرة في إيجاد نقطة استخبارات لها في الشرق ولم تخف تلك الغاية، وفي ذلك الصدد قام الضباط الألمان الذين وجدوا موضع قدم لهم داخل الدولة العثمانية بتحقيق تلك الغاية المهمة (Alkan, p.153)، أن ألمانيا سوف تشكل داعما أساسيا للدولة العثمانية في حالة مواجهتها لروسيا، ولاسيما أن الجيش العثماني سوف يكون قد نال قدرا من التحديث إذ كانت ألمانيا تقف في جبهة واحدة مع الدولة العثمانية في مواجهة الروس (البخيت، 1980م، ص47) .

2- الربط العسكري عن طريق سكك الحديد والموانئ:

شهدت الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر للميلاد أولى الخطوات التي قامت بها الدولة العثمانية لتأسيس خط للسكك الحديدية في أراضيها الواقعة بقارة آسيا، وقد بذل السلطان عبد الحميد الثاني جهودا كبيرة في ذلك المجال؛ لكي يكسب ثقة البريطانيين والفرنسيين لتحقيق مشروعه المتعلق بخط السكك الحديدية، وفي الوقت نفسه كان يفكر في أن قبوله الخط المذكور إلى الدولتين المشار إليهما يعني بصورة أو أخرى التبعية

13) (اوتو فون بسمارك (1815-1898م): من كبار السياسيين البروس ينتمي إلى طبقة البرنكوز، درس القانون خارج بروسيا وعمل على توحيد ألمانيا، تولى منصب المستشارية، وخاض العديد من الحروب ضد الدنمارك وضد فرنسا 1870-1871م. (الكيلي، د. ت)، ص543)

لها، ولذلك السبب فضل الابتعاد عنهما، والجدير بالذكر أنه كانت توجد أربعة خطوط للسكك الحديدية في عام 1888م (R. Zorlo, 1982, p.35).

ومن جانب آخر كان السلطان عبد الحميد الثاني راغبا في انشاء خط للسكك الحديدية في داخل الأناضول، تمكن بوساطته من ربط الولايات العربية الموجودة في الجنوب ببعضها البعض، وكانت فكرة ذلك الخط نابعة من كبار الضباط وفقا لفكرة السلطان عبد الحميد الثاني والرجال المحيطين به فإن الهدف الأساس من الخط المذكور كان يتمثل في إحكام سيطرة الدولة العثمانية على أراضيها في الجهات كافة، وبحسب ما ذهب إليه السلطان عبد الحميد الثاني فإن الخطر الوحيد الذي كان يترصد بالدولة العثمانية لا يتمثل في الدول الأجنبية فقط بل في حركة الشباب العثماني المعارض، وفي الحقيقة فإن المخاطر التي كان يعاني منها العثمانيون تم حلها بتركيز فرق عسكرية في المناطق التي شهدت تلك المخاطر ولذلك السبب كان من الضروري العمل على انشاء خط للسكك الحديدية (Rathman, 1982, p.36).

وشهدت ثمانينات القرن التاسع عشر للميلاد دخول الألمان إلى منطقة الشرق الأدنى بصورة جلية، وعلى الرغم من ذلك لم يحقق الألمان أي نتيجة مرضية من ذلك في مواجهة البريطانيين والفرنسيين لذا شرعوا في نشاطاتهم عبر إرسال البعثات العسكرية إلى استانبول، وبوصول تلك البعثات العسكرية إلى استانبول بدأت طلبات السلاح في الزيادة، وهو الأمر الذي أدى إلى إحياء وإنعاش المصانع العسكرية التي كانت على وشك الإفلاس، ومن جانب آخر بذل البنك الألماني جهودا كبيرة لخطوط السكك الحديدية الموجودة في الأناضول، وفي نهاية الأمر تمكن من الوصول إلى هدفه (Rathman, 1982, p.49)، وهكذا بدأت الصناعة الألمانية مع رؤوس الأموال في التغلغل داخل الدولة العثمانية وبذلك الصورة تغير اتجاه السلاح إلى المضيق مباشرة، وفي الإطار ذاته بدأ البنك الألماني بتوجيه السفن بصورة منتظمة بين الموانئ الألمانية وبين الشرق الأدنى، وفي 19 أيلول 1889 تم تأسيس شركة المساهمة الخاصة بخط السفن البحرية الألمانية، كذلك شهدت الأعوام التي تليها توحيد خطوط السكك الحديدية بين شمال ألمانيا ووسطها وعلى النحو نفسه تم توحيد خطوط السكك الحديدية جنوب ألمانيا خلال تسعينات القرن التاسع للميلاد (Rathma, 1982, p.50)، وهكذا تمكنت ألمانيا من تأسيس وسائل اتصال مناسبة مع الشرق الأدنى، والجدير بالذكر أن خطوط السكك الحديدية المذكورة كانت مربوطة مع بعضها البعض بيد أن ذلك الوضع لم يؤثر سلبا على وسائط النقل البحري.

وبناء على تفوق أوربا على الدولة العثمانية في المجال العسكري والتقني، بدأ القصر العثماني وكذلك الإدارة العثمانية في محاولة البحث عن حلول لتقادي التخلف الذي عاشته الدولة العثمانية في مجالاتها كافة، وعلى وجه التحديد في المجال العسكري (Rathman, 1982, p.51).

الخاتمة:

1. إن جذور العلاقات العسكرية العثمانية الألمانية تعود إلى ما قبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني إذ إن تلك التحديثات جرت بصورة مكثفة أثناء حقبة السلاطين سليم الثالث ومحمود الثاني وعبد الحميد الثاني.
2. إن السبب الرئيس في تخلف الدولة العثمانية يعود إلى المجال العسكري إذ شهد عهد السلطان عبد الحميد الثاني وعلى وجه التحديد عقب عام 1880م تقديم دعوات متتالية للبعثات العسكرية الألمانية لزيارة الدولة العثمانية للعمل في تحديث الجيش العثماني.
3. عمل السلطان عبد الحميد الثاني على تحديث المنظومة العسكرية بالاعتماد الكلي على ألمانيا؛ كونه كان ينظر إليها بأنها أقرب الدول للدولة العثمانية وليس لها أطماع في أراضي الدولة بحسب قناعة السلطان عبد الحميد الثاني.
4. إن السبب الرئيس والأساس من ذلك تمثل في العمل على إنقاذ الدولة العثمانية من العزلة السياسية التي عاشت فيها الدولة العثمانية أثناء تلك المدة وفي الوقت نفسه تأسيس علاقات متينة مع ألمانيا، وبالتالي الحصول على دعمها السياسي والعسكري والحال أن الدولة العثمانية لم تحصل على كل ما كانت تتمناه من تلك العلاقة.
5. إن الضباط الألمان الذين جاءوا إلى الدولة العثمانية لغرض تقديم خبراتهم وتجاربهم لم يجتهدوا كثيرا في تعلم اللغة العثمانية أو فهم المزاج العثماني على الرغم من أنهم كانوا يحصلون على أجره مقدرة وفي مقابل ذلك ظلوا يقومون بصورة منتظمة بتقديم التقارير إلى بلادهم حول الوضع العسكري للدولة العثمانية وكذلك مقدراتها.
6. نتيجة للخسائر المتتالية أمام روسيا وحرب البلقان وضعف المؤسسة العسكرية أخذ السلطان عبد الحميد الثاني في تعزيز العلاقة العسكرية مع ألمانيا لتعزيز قدراتها العسكرية.
7. إرسال العديد من البعثات العسكرية العثمانية إلى الخارج لاكتساب الخبرة العسكرية وتطوير قدرات الجيش العثماني وخطورة تلك البعثات على مستقبل الدولة العثمانية فيما بعد أدت إلى انتشار الأفكار القومية داخل الدولة العثمانية.

8. على الرغم من الضائقة المالية التي كانت تشهدها الدولة العثمانية إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني فتح الباب على مصراعيه لأجل بناء قدرات الجيش العثماني.
9. معارضة قسم من العساكر العثمانيين لعملية التحديث تلك نتيجة الرواتب المالية العالية التي كان يتقاضاها المستشارون الألمان.
10. زيادة نفوذ الشركات المتخصصة في بيع الأسلحة الألمانية للجيش العثماني وزيادة سماسرة بيع السلاح في تلك المدة.
11. إنشاء طرق السكك الحديدية والموانئ؛ لتسهيل وصول التعزيزات العسكرية.

قائمة المصادر والمراجع:

References:

-المصادر باللغة العربية:

1. العسلي، بسام. (1987). المذهب العسكري الألماني 1750-1945م. دمشق.
2. باشا، تحسين. (2017). رئيس دائرة الكتابة بقصر يلديز. السلطان عبدالحميد الثاني. ترجمة: كمال احمد خوجه. منشورات ذات السلاسل. الكويت.
3. طالب، جمال صبحي. (2021). المؤسسة العسكرية العثمانية 1839-1909م دراسة تاريخية. ط1. دار زاهد. المملكة الاردنية الهاشمية.
4. سلمان، حاتم احمد إسماعيل. (2013). العلاقات العثمانية الروسية 1876-1909م. رسالة ماجستير (غير منشورة). كلية الآداب. جامعة الموصل.
5. السعدون، خالد بن حمود. (2008). الصراع حول رأس الخليج العربي مطلع القرن العشرين. الدار العربية للموسوعات. لبنان.
6. نجم، زين العابدين شمس الدين. (2010). تاريخ الدولة العثمانية. دار المسيرة، عمان.
7. طاهر، زينب عبد المطلب. (2014). دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى 1914م دراسة في الظروف والأسباب. رسالة ماجستير (غير منشورة). كلية التربية. الجامعة المستنصرية. بغداد.
8. ناجي، سحر أحمد. (ب.ت). النفوذ الألماني في الدولة العثمانية اواخر القرن التاسع عشر. المؤتمر العلمي التخصصي الرابع والعشرين. كلية التربية. جامعة المستنصرية.
9. هنداي، سهام. (2015). التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية 1876-1909م. دار نينوى. دمشق.
10. كولن، صالح. (2015). سلاطين الدولة العثمانية. ترجمة: منى جمال الدين. ط2. دار النيل للطباعة والنشر. القاهرة.
11. الوائلي، طاهر يوسف. (2005). معاهدة التحالف الألماني العثماني عام 1914. مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد. العدد 63.
12. سنو، عبد الرؤوف. (2007). ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. مؤسسة الكسندر فون هومبولدت. بيروت.
13. الكيالي، عبد الوهاب. (د.ت). الموسوعة السياسية. دار الهدى للنشر والتوزيع. بيروت.
14. حسون، علي. (1982). العثمانيون والروس. بيروت.
15. عمار شاكر محمود، رائد سامي حميد. (2008). بريطانيا في عهد الملك ادوارد السابع 1901-1910. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية. مجلد 15. العدد 4. ايار 2008.
16. البزاز، عمار محمد كاظم فرج. (2006). السياسة الداخلية في عهد السلطان محمود الثاني 1808-1838. اطروحة دكتوراه (غير منشورة). كلية الآداب. جامعة البصرة.

17. بيات، فاضل مهدي. (2003). دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية. دار المدار الإسلامي. بيروت.
18. دويوي، ق.ن. (1983). عباقرة الحرب والجيش والأركان العامة في المانيا 1807-1945. ترجمة: حسن حسن. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
19. العزاوي، قيس جواد. (2017). الدولة العثمانية من الخلافة الى الانقلابات 1908-1913. ترجمة: عاصم عبد ربه. المركز القومي للترجمة. القاهرة.
20. أحمد، كمال مظهر. (1984). كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ترجمة: محمد الملا عبد الكريم. ط2. بغداد.
21. مجموعة باحثين. (2019). السلطان عبدالحميد الثاني في الذاكرة العربية. محمد الهامي. دار الأصول العلمية. تركيا.
22. مذكرات الأميرة عائشة أوغلي. (1991). ترجمة: صالح سعادوي. ط2. دار النشر. عمان.
23. مذكرات رؤوف البحراني. (1993). لمحات عن وضع العراق في اواخر العهد العثماني من 1900-1920. اعداد: جواد هبة الدين الحسيني. ط1. مطبعة العمال المركزية. بغداد. 1993م.
24. المرجة، موفق بني. (2018). صحوة الرجل المريض. ط10. دار الكتاب الثقافي. ردمك.

-الكتب باللغة الانكليزية:

1. Alkan, II. The First German Military Delegation in the Era of Abdulhamid II: Otto von Kaehler and the Expectations of Both Sides, Istanbul University, Faculty of Literature, Department of History.
2. Beşirli, II. German Weapons in the Ottoman Army during the Abdulhamid Era, Ercit University Social Sciences Institute Journal, 16, 2004.
3. Henry Laurens, The Eastern Crises: The Eastern Question and the Great Game (1768-1914), translated by Bashir Al-Sibai, 1st edition, Afaaq Al-Qahira (Afaaq Cairo), 2018 .
4. Ipek, II. Modernization of the Navy in the Abdulhamid Era, Turkish Historical Society Publications, 2002.
5. Nedim Ipek, The Naval Congress of the Army in the Abdulhamid Era, Turkish Historical Society Publications, 2002.
6. Ortaylı, II. German Influence in the Abdulhamid Era, Ankara University Press, Ankara, 1981.
7. Q. N. Dubois, War Geniuses: The Army and General Staff in Germany 1807-1945, translated by Hassan Hassan, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 1983.
8. Rathman, R. Zorlo, Berlin. The Impact of Imperialism on Turkey, Belge, Istanbul, 1982.
9. Turan, II. Turkish-German Military Education Relations in the Abdulhamid Era, Yeni Türkiye, 31, 2000.
10. Turkmen, 93 Navbi: Developments in Military Procurement of the Ottoman State, 2nd International Symposium on Gaziosman Pasha's Era, Gaziosmanpaşa University, 2017.

11. Y. Ozyulduz, The German Military Delegation in the Ottoman Army: From Colonel Helmuth von Moltke to Colonel Imuh von Sahders, Ankara University Ottoman History Research and Application Center Journal. 4.

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

- 1 .Al-Asali, Bassam. (1987). German military doctrine 1750-1945 AD. Damascus .
- 2 .Pasha, Tahsin. (2017). Head of the Writing Department at Yildiz Palace. Sultan Abdul Hamid II. Translated by: Kamal Ahmed Khoja. Chain publications. Kuwait .
- 3 .Talib, Gamal Sobhi. (2021). The Ottoman military establishment 1839-1909 AD, a historical study. 1st edition. Zahid's house. The Hashemite Kingdom of Jordan .
4. Salman, Hatem Ahmed Ismail. (2013). Ottoman-Russian relations 1876-1909 AD. Master's thesis (unpublished). Faculty of Arts. University of Mosul.
- 5 .Al-Saadoun, Khaled bin Hammoud. (2008). The conflict over the head of the Arabian Gulf at the beginning of the twentieth century. Arab House of Encyclopedias. Lebanon .
- 6 .Najm, Zain al-Abidin Shams al-Din. (2010). History of the Ottoman Empire. Dar Al Masirah, Amman .
7. Taher, Zainab Abdul Muttalib. (2014). The entry of the Ottoman Empire into the First World War in 1914, a study of the circumstances and causes. Master's thesis (unpublished). College of Education. Al-Mustansiriya University. Baghdad.
- 8 .Naji, Sahar Ahmed. (B.T.). German influence in the Ottoman Empire in the late nineteenth century. The twenty-fourth specialized scientific conference. College of Education. Al-Mustansiriya University .
- 9 .Hindawi, Siham. (2015). The historical development of German-Ottoman relations 1876-1909 AD. Nineveh House. Damascus .
- 10 .Colin, Saleh. (2015). Sultans of the Ottoman Empire. Translated by: Mona Gamal El-Din. 2nd ed. Dar Al Nile for Printing and Publishing. Cairo.
11. Al-Waeli, Taher Youssef. (2005). The German-Ottoman Alliance Treaty in 1914. Journal of the College of Arts. University of Baghdad. Issue 63.
- 12 .Sinu, Abdul Raouf. (2007). Germany and Islam in the nineteenth and twentieth centuries. Alexander von Humboldt Foundation. Beirut.
- 13 .Al-Kayyali, Abdel-Wahhab. (D.T.). Political Encyclopedia. Dar Al-Huda for Publishing and Distribution. Beirut .
- 14 .Hassoun, Ali. (1982). Ottomans and Russians. Beirut.
15. Ammar Shaker Mahmoud, Raed Sami Hamid. (2008). Britain during the reign of King Edward VII 1901-1910. Tikrit University Journal of Human Sciences. Volume 15. Issue 4. May 2008.
- 16 .Al-Bazzaz, Ammar Muhammad Kazem Faraj. (2006). Domestic politics during the reign of Sultan Mahmud II 1808-1838. Doctoral dissertation (unpublished). Faculty of Arts. University of Basra .
- 17 .Bayat, Fadel Mahdi. (2003). Studies in the history of the Arabs in the Ottoman era, a new vision in light of Ottoman documents and sources. Dar Al-Madar Al-Islami. Beirut .

18. Dupuy, Q.N. (1983). *Geniuses of War, the Army, and the General Staff in Germany 1807-1945*. Translated by: Hassan Hassan. Arab Foundation for Studies and Publishing. Beirut.
19. Al-Azzawi, Qais Jawad. (2017). *The Ottoman Empire from the Caliphate to the Coups 1908-1913*. Translated by: Asim Abd Rabbo. National Center for Translation. Cairo .
20. Ahmed, Kamal Mazhar. (1984). *Kurdistan in the years of World War I*. Translated by: Muhammad Al-Mulla Abdul Karim. 2nd ed. Baghdad .
21. A group of researchers. (2019). *Sultan Abdul Hamid II in Arab memory*. Muhammad Elhamy. Dar Al-Usul Al-Ilmiyyah. Türkiye.
22. *Memoirs of Princess Aisha Ogly*. (1991). Translated by: Saleh Saadawi. 2nd ed. Publishing House. Oman.
23. *Memoirs of Raouf Al-Bahrani*. (1993). *Glimpses of the situation of Iraq in the late Ottoman era from 1900-1920*. Prepared by: Jawad Heba Al-Din Al-Husseini. 1st edition. Central Workers Press. Baghdad. 1993 AD.
24. Al-Marjah, Muwafaq Bani. (2018). *The sick man's awakening*. 10th edition. Cultural Book House. ISBN .

